كلية التربية للطفولة المبكرة
إدارة البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)

=======

مفهوم الاستذكاء
(التذاكي وفهم السلوك الإنساني)

إعـــداد

أ.د/ خالد النجار

أستاذ علم النفس- كلية التربية للطفولة المبكرة

جامعة القاهرة

تم ارسال البحث: ٢٠٢٣/٩/١١ تم الموافقة على النشر: ٢٠٢٣/٩/١٥

{العدد السادس والعشرون- يوليو٢٠٢٣م}

مقدمة:

يقول المفكر الفرنسي اتيان دولابويسي في كتابه العبودية المختارة: عندما يتعرض بلد ما لقمع طويل تنشأ أجيال من الناس لا تحتاج إلى الحرية وتتوائم مع الاستبداد ويظهر فيه ما يمكن ان نسميه (المواطن المستقر) المواطن المستقر يعيش في عالم خاص له وتنحصر اهتماماته في ثلاثة اشياء الدين ولقمة العيش وكرة القدم...

فقد تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت، وتخدع بعض الناس كُلّ الوقت، ولكن لا تستطيع أن تخدع كُل الناس كُلّ الوقت.

نَعَمْ، شيء جميل أَنْ تَكُونَ شخصًا ذكيًا ولماحًا.. لكننا نحتاجُ أحيانًا إلى التنازلِ والتنكر خلفَ قِناع اللافَهم.. أو ارتداء قناع الغباء.. أو قناع الحماقة.. التي تُخرِجنا من واقعَ ما نَحنُ فيه، ليس لأننا أغبياء، أو أننا نُريد أن نكُونَ كذلك حقًا، بل لأن ضريبة ذكائنا قد تُكَلفُنا الكثيرَ والكثير من مَشاهدَ وشَواهد قد تُحطم ما بِداخِلنا من إمكانيات واهداف وطموحات.

فَمِنَ الذكاءِ أَنْ تَكُونَ غبياً في بعض المواقف، التي قد تكون كفيلة بإنقاذك من هذا الحطام الذي قد يطال حياتك وحياة من حولك. يرى البعض أن التظاهر بالغباء وعدم مواجهة المواقف بحزم هو ضعف في الشخصية، والبعض الآخر قد يراها سبيلًا لنِفاق وهَدْم الثقة، فيما الآخر يراها قمة الذكاء.. فالاستغباء الذكي فنّ يجب عليكَ أن تُتقنَ عزفهُ بذكاء.. بِتحديد متى وكيف ومع من تستخدمه؟ وإلَّا سيكون نشازًا على من لا يُتقن عزفه بِإحكام.

إن قمة الذكاء يكون في أن نتصنع الغباء تجاه مواقف لا ينبغي أن نبذلُ فيها كل جُهودنا لفهمها وإبداء ردود فعل تجاهها، وكذلك هو الحال مع الأشخاص في محيطنا، أولئك الذين يتظاهرون أمامنا بالمودة والحُب كقناع يختبئ خلفهُ إحساس مغاير لما نراهُ، فمن خلال تصنعك للغباء يمكنك منحهم فرصة الظهور بالفوز والانتصار بينما أنت في واقع الأمر مُدرك حقيقة ما يدور حولك، ولكنك آثرت راحة بالك وطمأنينته بغبائك المصطنع، وهنا يتبين لنا أن الأذكياء حقاً لديهم الكثير ليقولونهُ ولكنهم يظلون صامتين لا يخوضون في

جدالاتٍ تستنزف أوقاتهم وطاقتهم، بل يحتفظون بها من أجل أمور أكثر أهمية، أما الأقل ذكاءً فهم الفارغون، الذين ليس لديهم ما يقولونه ولكنهم لا يصمتون.

إنَّ التظاهر بالغباء (الغباء الاصطناعي) صعب بعض الشيء، ولا أحد يحتمل الشعور بأن هناك من يفوقونه ذكاء، وخاصة وأن النفس البشرية جبلت على حُب الظهور والتباهي، لكن التظاهر بأنك أقل ذكاء بل حتى أقرب للبلاهة يعد سلاح ذو حدين؛ ففي بعض الأحيان يكون التظاهر بالغباء حكمة وحنكة وفى البعض الآخر يكون دهاءً وخبث. **وهو الأمر الذى تجده عندما يجتهد إنسان ما فينشط في مجالات متعددة، ويلتف حوله المريدون والناس، ويتردد اسمه في المحافل، ويكسب كل يوم خطوة إلى أمام، فلا تجد بعض الكبار يؤازرونه، وإنما يتصورون أنه ينافسهم، وأنهم لابد أن يظلوا هم الأعلام الكبار المنفردون فيحاربون ويشوهون وينثرون الأقاويل حتى يحكموا محاصرة الناجح ليدمروه، فتبتهج قلوبهم.**

الاستغباء الذكي:

فأحيانًا نُجْبَر على الاستغباء الذكي (وهو عكس التذاكي الغبي) أمام المخادعين والذين يُظْهِرونَ لنا الحب ويُخفونَ الكراهية والحقد بداخلهم، نُسايرهم ونُساير ما يسعونَ إليه ليس ضعف منا، بل لأننا نَعلم أنه لا يَحِيقُ المكرُ السَّيِّئُ إِلَّا بأَهلِهِ. فبعض الأحيان تَحدث أمامنا مواقف تُحتم علينا استخدام الغباء رغمَ وضوح الأشياء أمامنا وفهمنا لها إلا أننا نُحاول أن نُخفي ذلك عنهم. يقول الكاتب الألماني كورت توشولسكي "من الذكاء أن تمارس دور الغباء وتُظهر نفسك غبيًا أمام موقف ما وكأنك لا تفقه شيئًا ."

فممارسة الاستغباء الذكي يغضّ الطرف عن بعض التجاوزات الصغيرة وكثير من الوشايات الخبيثة.. كل ذلك من شأنه امتصاص الغضب وإخماد الحقد الدفين وتقليص دوائر الناقمين والماكرين على ذواتنا.

كما إنَّ مُمارسة فنّ الاستغباء الذكي يُبعدنا عن فخاخ الاستعلاء والتكبر والعُجُب والانبهار بالذات، التي هي من أقبح الخصال البشرية، بل ومن الرذائل التي لا ينبغي

للإنسان الاتصاف بها، حيث تجلت هذه الفضيلة وعلا سُموّها وجمالها بالفيلسوف والحكيم اليوناني سقراط حين ذكر تلميذة أفلاطون في كتابه (محاكمة سقراط)، أنه كان يتجوّل في أثينا، وفي شوارعها يستوقف الناس ويحاورهم، لا ليعلمهم أو يلقنهم تأملاته الفلسفية بل ليسألهم، كان يسألهم سؤال الجاهل للعالم، ويتظاهر بنوع من الغباء والبلاهة ويتدرج بأسئلته، سؤال يعقبه سؤال، والناس بطبيعتها تحبّ أن تبدي رأيها في أعظم الأشياء وأحقرها، لكنه بأسئلته يحرّك الكَوامِن في عقل المقابل وينبهه إلى الثغرات في كلامه حتى يدرك بطريقة غير مباشرة سذاجته بنفسه، وهذا ما يسمّيه الفلاسفة "سخرية سقراط."

الذكاء هو أبرز الصفات التي عليك أن تُخفف من ظُهورها في أغلب الأوقات، فالتذوق الجمالي للاستغباء الذكي يقارب متعة الذكاء نفسه أحيانًا، وخاصة عندما تُظهر للآخرين أنهم أكثر ذكاءً منك وأنت بداخلك تستمتعُ بغبائهمُ الحقيقي، وهذا بلا شَكٍّ يمنع من أن تكونَ يوماً ما فريسة سهله لكلِ من أراد أن يلتهمك أو يُوقع بك، أيضًا سوف يشل ذلك حذرهم تجاهك، بل إن الاستغباء الذكي قد يصنع المعجزات التي لا تصنعه غيره من الصفات.

المعنى اللغوي للاستذكاء:

استذكى يستذكي ، اسْتذكِ ، استذكاءً ، فهو مُستذكٍ ، **والمفعول مُستذكًى** (للمتعدِّي)

استذكتِ النَّارُ اشتدَّ لهيبُها :–استذكتِ الحربُ/ الشمسُ

استذكى الغبيّ: ادّعى الذَّكاء وسرعة الفهم، وهو ليس كذلك :–استذكى الطالب المهمل على أستاذه في حلّ المسألة واستذكى فلانٌ النَّارَ: أوقدها :–استذكى نارَ الفتنة بين الطرفين.

ذكُوَ يَذكُو ، اذْكُ ، ذكاءً وذكاوةً ، فهو ذكيّ

ذكُو فلانٌ كان سريع الفهم، والإدراك، متوقِّد البديهة :–يتميّز الأطفالُ بذكاوة شديدة، فالاستذكاء استفعال للذكاء وادعاء سرعة الفهم والادراك.

(معجم اللغة العربية المعاصر، ٢٣٣)

الذَّكَاءُ : لَهَب النار و الذَّكَاءُ الجمرة الملتهبة

الذَّكَاءُ قدرة على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار، وعلى التكيُّف إزاء المواقف المختلفة

(المعجم الوسيط، ٩٨)

مفهوم الاستذكاء (التذاكي): Pretend to be smart

التذاكي لغوياً حسب معجم المعاني، يعني تصنّع الذكاء، أي أن المتذاكي عاجز عن الابتكار، وتصوّر له نفسه أنه خارق الذكاء، فيبدأ بتنفيذ خططه على أساس أنه غير مكشوف بقناعة منه أنه "الأذكى"، على الرغم أن الحكمة تقول أن (التذاكي على الأذكياء هو قمة الغباء). والشخص المتذاكي يستخدم تلك الحيلة على جميع من حوله أقرباء وغرباء على حد سواء، ويقيس كُلّ شيء في الحياة بـ (المصلحة) الشخصية البحتة، وما يُحقق له عوائد مادية ومكاسب اجتماعية فقط، لذلك ثمنه رخيص جدًا، فمن السهولة شرائه، وبأبخس الأثمان؛ لأنه يُعرف نفسه كما يُعرّف الأشياء، "بثمنها لا بقيمتها"، وقيمته الاجتماعية دوما هي مجموع حاصل الضرب في "صفر" مهما كانت إنجازاته، لأنّ حيلته "الغبية" – أي التذاكي الذاتي – تحط من قدره وخاصة انه مكشوف ومفضوح أمام الجميع.

غالبا ما يظهر هؤلاء المتذاكون بمظهر الجبال الشامخة، فيعتبرهم الناس "البسطاء" موسوعة معرفية وقاموس للوطنية ونبع لغوي لا ينضب من شدة أمانته ونقاءه، فهم يصنعون لأنفسهم وهماً من المجد والنجاح، ويُحيطون أنفسهم بثلة ممن يُغذون "نرجسيتهم"، وبالتالي تتضخّم لديهم حيلة التذاكي حتى يُسقطوا أنفسهم مجتمعيًا بصناعة ذاتية بامتياز، وتنحرق حينها هالة الوهم المحيطة بهم، فتظهر حقيقتهم الكرتونية" على الملأ . أليست هذه الحيلة هي رمز الدهاء بحدّ ذاته للغبي، عفوًا، للمتذاكي؟!

يحاول المتذاكي دوما اقتناص الفرص بالطرق غير المشروعة قبل المشروعة، فهو يرغب أن يتقدم الصفوف، كيف لا ونظره باستمرار يكون نحو "الأعلى"، الأعلى طمعاً لا طموحاً، حتى لو لم يكن هو الشخص المناسب للمكان المناسب، فهو مريض بالاستحواذ على السلطة ومصادر القوة؛ لأنه لا يُعرّف ذاته بعيدًا عن ذلك، وهو يتوهم أنه خارق القدرة وعبقريته تفوق الجميع، ولا أحد سيحل أي أزمة تعصف بالوطن سواه، هكذا يُعرّف المتذاكي "أناه"، وتلك هي عقليته البراقة بـ (الغباء).

وعلى الرغم من خلايا الغباء الكثيرة القابعة في زوايا عقله، إلا أننا كثيرًا ما نجد المتذاكي يتصدر المشهد، ويتسيّد الموقف، ويتصيّد الفرص، ونتيجة لذلك نستطيع الآن أن نعرف سبب تخلفنا وتراجعنا لأننا ننخدع حيناً ونثق حيناً ونتعمد حيناً اختيار المتذاكي وليس الذكي للمواقع التي تحتاج فكر وإدارة وتخطيط وتطوير ونعطي من لا نملك لمن لا يستحق.

المتذاكي... يفهم بكُلّ شيء ويُفتي في كُلّ شيء، ويتمنّى أن يكون في كُلّ المواقع في ذات الوقت؛ لأنه يعتبر نفسه المرجع الوحيد للمعلومة، وأنموذج الأدوات النجاح، فيتصرف كالنجم اللامع الذي يشع من ذاته الإلهام ليصنع التغيير في الأمّة بأكملها، وبما أنه يُحيط نفسه بمجموعة من العبيد الذين يمجدونه ويعظمونه ويُصفّقون له ويهللون لاسمه وباسمه، فيتولد لديه الوهم" القاتل بأن جميع من حوله (كالإسفنجة) التي تمتص كُلّ شيء، حتى لو كانت أقواله وأفعاله لا يقبلها العقل والمنطق، ولكن ما يشعره بالنجاح والتفوق على الآخرين هو تلك المجاملات المزيفة التي يعلمها ويراها الجميع حتى اقرب المقربين منه.

تقوم فلسفة المتذاكي على قول وفعل الشيء ونقيضه في ذات الوقت، فهو تارة مع وتارة ضدّ؛ لأنه يمارس الرقص الغبي على ألحان مصلحته، لذلك هو هامشي ملوّن، ويسقط فورًا في الموقف والفكرة بعد تغيّر الحال ولا يعنيه إن تناقض مع قضية مُقدّسة كان يوما مدافعًا عنها بشراسة، واهماً بذلك أنه يمسك العصا من المنتصف، تلك المرونة الراقصة التي يتميّز بها المتذاكون بسرعة استغلال الحدث وتقولبهم معه، تحسدهم عليها جرثومة "الأميبا" ذاتها المعروفة في تطفّلها وسُرعة تحوصلها، وعلى الرغم أن المرونة عنوان للقوة، وهي سمة محمودة، ولكن عند إتقانها من المتذاكين تمسي مذمومة جدا.

المتذاكي .. يظن أن بإمكانه خداع جميع من حوله بكذبة عابرة وحيلة غبية ساذجة، فعملية التذاكي واللف والدوران يمكن ان تنجح بعض الوقت على المستوى الشخصي ولكنها عملية مؤذية مكشوفة تسهم في تحطيم العلاقات ومسخ الحب من القلوب وبناء حواجز بين النفوس وذلك المتذاكي يظن أن بأساليبه البالية وخططه العقيمة وعقليته السطحية يرسم له مجداً ويضع له أساساً متيناً من العلاقات والحب والتقدير، وقد اصبح التذاكي في عصرنا الحالي سمة لكثير من الرجال والنساء وأصحاب المصالح والمناصب واهل السبوبة والبعض

يطلق على التذاكي الذكاء الاجتماعي في كسب العلاقات والمحافظة عليها، فأصبحوا كمن لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم.

يتميّز المتذاكي بقلّة تعاطفه مع الآخرين، وبَلادة تفاعله مع مُشكلاتهم ومشاعرهم، وصعوبة تقبّله النقد وتأقلمه الفعّال مع مُحيطه، وعدم تحكّمه في انفعالاته وإيماءاته ونبرة صوته ولغة جسده وبدنه، وتسرّعه في الحُكم على الناس من خلال مَظاهرهم، وتخلّيه عن سلوكيات التهذيب وأدب الإنصات، وعدم احترامه للاختلاف وآراء الآخرين فضلاً عن تقبّلها، إضافة إلى تضخّم حجم «الأنا» لديه، واستمراء الجِدال والتعصّب المَقيت، وغياب حسه الأدبي وانخفاض مستوى ذوقه العام **وهو الأمر الذي يدفعنا الى اعتبار التذاكي أحد الميكانيزمات الدفاعية التي يلجأ اليه الأنا عند تعرضه للخطر من المحيطين، فالشعور بالدونية وانه اقل من كثيرين من حوله يدفعه الى التذاكي في الحصول على المناصب وتصدر المشاهد باعتباره الأفضل والاقوى والانسب وهو يعلم يقيناً انه الأقل والاضعف عن هذا الاستحقاق بحيث تلعب الدوافع الشعورية الدور الأكبر في رسم ملامح شخصية المتذاكي، بينما تظل الدوافع اللاشعورية ظل باهت في خلفية المشهد يحتاج الى مزيد من الضوء لابرازه وظهوره على النحو الذي يعكس الدور الذي يلعبه في الخفاء، وتظل صناعة المتذاكي هي الجريمة الأكبر في حق المجتمعات والشعوب النامية أو النائمة.**

فسلوكيات المتذاكي وتصرفاته تخضع في مُجمَلها لعوامل بيئيةٍ تربويةٍ تعليميةٍ ثقافية، يكتسبُها من مُحيطه وأقرانه وعاداتهم وقِيمهم الاجتماعية السائدة، وهو أسيرُ الجماعة التي ينتمي إليها، ويتأثر بالإيحاءات الثقافية التي يتربّى عليها، وينصاع في الأغلب لتوجّه العقل الجمعي، فالفساد والمحسوبية والتملق هما أهم أدواته ودائم التطلع للقيادات والسعي والتلهف للمناصب ويسعى ان يكون صاحب اللقطة الأعظم في تاريخ من حوله فيصبح هو من يلجأ الناس اليه لقضاء حوائجهم ومطالبهم في حين انه لا يقدم شيئاً للآخرين بدون مقابل، فهو من يلتف الناس حوله لإدراكهم ويقينهم بأنه فاسد ويملك كل الحلول المشروعة وغير

المشروعة لتحقيق الأهداف والغايات حتى ولو كانت على حساب ضياع حقوق الآخرين، وهو ما يعكس دور المجتمع في صناعة السمات الشخصية للمتذاكي.

ويبدو أن كل محدودي الذكاء أو غير المهرة يشعرون بفوقية شديدة وتعال على الآخرين. بينما الأذكياء يشعرون دومًا بعدم الرضا عن النفس وبأنهم ليسوا بهذه البراعة، ولربما ظنوا ان ما يقومون به ببساطة هو شيء يستطيع الجميع القيام به .ويذكر كونفوشيوس: "أن المعرفة الحقيقية هي أن تدرك مدى جهلك." ويقول برتراند راسل: "مصيبة عصرنا هو أن من لا يفهمون يشعرون بالتفوق، بينما الأذكياء فعلاً تملؤهم الشكوك."

ويبقى السؤال ماذا لو تمكن المتذاكي واصبح هو المكلف بالتخطيط واتخاذ القرار وتصدر المشهد مجموعة من المتذاكين بخصائصهم وسماتهم الشخصية الفقرة والمتدنية وامكانياتهم المحدودة ورؤيتهم القاصرة وتفكيرهم المتملق وانتمائهم لمن كلفهم بهذا العمل وأصبحوا هم القاطرة التي تقود مسيرة المجتمع؟.

التذاكي لدى الأطفال:

يعتبر التذاكي بالكذب واحد من أهم وأكثر أنواع التذاكي شيوعاً لدى الأطفال وهو التذاكي بالكذب، فهناك الطفل الذي يخفي شيئاً من الحقيقة، أي لا يخبر والديه القصة كاملة، وهناك نوع من الأطفال يضيف جزءاً على الحقيقة، كأن يخبر زملاءه في المدرسة أن والده اشترى له ألعاباً كثيرة ومتنوعة؛ في حين أن الأب لم يشترِ إلا لعبة أو لعبتين وربما لم يشترى له العاباً على الاطلاق، كما أن الطفل من الممكن أن يتستر على جزءٍ من الحقيقة أو أن يخفيها بشكلٍ كامل. بغض النظر عن هذه الأنواع، هنالك أسباب معينة تدفع الطفل إلى التذاكي بالكذب من بينها:

- التذاكي خوفاً من العقاب: ويسمى هذا النوع من التذاكي بالكذب الوقائي أو الدفاعي، ويقوم به الطفل خوفاً من صرامة الوالدين وعقابهم الشديد إذا قام بفعل خاطىء، وقد يتذاكى الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز ما، لأنه إن قال الصدق سيضيع منه هذا الامتياز.

- التذاكي التعويضي: ومن الأمثلة على ذلك أن يقول الطفل أنّ معلمته قد طلبت مبلغاً مالياً لنشاطٍ معين، والواقع أنّ الطفل يريده لشراء أشياء يرغب بها لنفسه.
- التذاكي للفت الانتباه والحصول على الاهتمام: قد يلجأ الطفل للتذاكي باختلاق الاحداث الخيالية للحصول على العطف والرعاية والحنان، ويحدث ذلك نتيجة تقصير الوالدين في إظهار حبهما له، وقد يلجأ لهذا النوع من التذاكي بين زملاءه في الفصل للحصول على انتباه الأطفال والمعلمة معاً.
- التذاكي بالعدوان على الآخرين: حيث يميل بعض الأطفال للجوء الى العدوان والعنف كأحد أساليب التذاكي لكي يخفي ضعفه ويهرب من عقاب او لعب دور الأقوى الذي يفعل ما يريد وقت ما يريد.
- التذاكي بالتجنب: وهو لجوء الطفل الى الهروب من المواجهة والمواقف المحبطة بتجنب المواجهة لأفعاله أو مواجهة الاخرين ظناً منه ان الهروب والتجنب يحميه من عدوان الآخرين

أمثلة من التذاكي لمراحل عمرية ومواقف مختلفة ومتباينة:

- **لو أراد طفل عدم الذهاب الى المدرسة...ماذا يمكن ان يقوله لامه تبريراً لعدم ذهابه الى المدرسة.**
- **طفل استلم الشهادة التي تتضمن درجاته المتدنية في الفصل الدراسي كيف سيفسر انخفاض الدرجات لوالديه....**
- **اب يوقظ ابنه في الفجر ويطلب منه الاستيقاظ لأداء صلاة الفجر فيقوم الطفل وخلال دقائق قليلة جدا يأتي لوالده ويخبره انه قد صلى الفجر ولم يجد والده أي علامات لقيام الطفل بالوضوء قبل أداء الصلاة فيسأل ابنه هل توضأت قبل الصلاة ..فيرد الطفل قائلاً لقد طلبت مني الصلاة فقط ولم تطلب منى الوضوء والصلاة....**

- **احد المتذاكين تولي منصب قيادى وهو يعلم انه غير قادر على الإدارة او التطوير او التخطيط فيتذاكي بتركيز ادارته على الشدة والتهديد والوعيد والالتزام بدقة المواعيد والانضباط فيهرب بالتركيز في التفاصيل غير المجدية من تحمل مسئوليات لا قبل له بها...**
- **احد القيادات الذي تولى المسؤولية عن طريق الواسطة والمحسوبية وهو على يقين بعجزه عن أداء المهام المطلوبة منه فيتذاكي بالتركيز على اصطناع حروب شخصية وهمية يتخفى وراءها بل يتهم الاخرين بانهم يحسدونه ويتأمرون عليه لافشاله.....**
- **السياسي الفاشل يتذاكي بتصريحات يهرب بها من المسؤولية ومن تحمل قراراته الفاشلة بكلمات لا تفيده ولا تدينه...**
- **المعلم الذي يبرر فشله في أداء مهام عمله باتهام الجيل انه فاسد ومنحل من القيم الأخلاقية والدينية، او بالتبرير بانخفاض الدخل وارتفاع الأسعار وصعوبة العيش في الظروف الاقتصادية الراهنة....**

التذاكي الجمعي والسيكوباتية:

السيكوباتية Psychopathy نوع من الاضطراب النفسي الحاد في الشخصية، وهي من أفدح وأصعب الاضطرابات النفسية في تشخيصها، وتحديداً فى الطيف "المُتخفي" منها، والذى حدا بأستاذين في الطب النفسي من جامعة هارفارد أن ينشرا كتابا عنه، سمياه "سيكوباتي تقريبا" Almost a Psychopath، ويشير إلى هذه النوعية من السيكوباتيين الذين يُظهرون قليلاً من أعراض هذا الاضطراب النفسي الحاد، لا يكفى لتلبية معايير التشخيص الكامل لاضطرابهم الذى يخفيه "ذكاؤهم" وراء واجهة تبدو طبيعية، بل كثيراً ما تكون مهيبة وجذابه، بالرغم من وضوح معايير تشخيص سيكوباتيتهم، المتضمِّنة: حب الذات الأناني العدواني، أو "النرجسية العدوانية"، والاندفاعية في السلوك، والافتقار إلى حس التعاطف مع الغير، والتلاعب بالناس عبر البلطجة أو الخداع أو كليهما، وهم في كل ذلك

يعتبرون أنفسهم أشخاصا استثنائيين معفيين من المساءلة القانونية، مع ميل ملحوظ للكذب، بل الكذب المُحكَم. فهو القارح، المحتال، النرجسي الخيلائي، السادي، المتغطرسٍ الجهول، بليد الحس، ميت الضمير؟.

لقد دفعني هذا الطرح لمفهوم الاستذكاء او التذاكي الجمعي الى قبول فكرة أن المجانين الحقيقيين، والمجرمين الحقيقيين، هم خارج المصحات والسجون، بل ووجدت نفسى مدفوعاً لإعادة قراءة كتاب كولن ويلسون "التاريخ الإجرامي للجنس البشرى"، وكتاب ابليس يكتب التاريخ والذي يؤكد على "إن ذكاء البشر نتج عنه بعض الجنوح وعدم التوازن، كما نتجت عنه مخاوف حقيقية تدفع البشر إلى انتهاج الطرق المختصرة لتحقيق الرغبات، أي إلى ارتكاب الجريمة وبالأحرى ارتكاب جرائم في حق البشرية لا يعاقب عليها القانون مثل التحايل والتلاعب بمقدرات البشر والفساد والمحسوبية وضياع الحقوق والعجز عن محاسبة المتذاكي السيكوباتي والمضطرب". وهذه رؤية ثاقبة بلا شك، لكنني أفضل . تبعا لكل ما سلف . تغيير تعبير "الذكاء" فيها إلى "التذاكى"، الذى هو قرين غباء المشاعر، وقصر النظر، وأحادية الاتجاه. ومن ثم، لا يكون إلا تذاكياً للغباء، وما أكثر ما يُحيط بنا – هنا والآن– من مثل ذلك التذاكى الجمعي المدمر للمجتمعات!.

التذاكي الجمعي (الشلة الفاسدة):

نوع من التحالف يجتمع عليه بعض المتذاكيين من ذوي المصالح والاهداف والسمات الشخصية الواحدة والمشتركة كأحد أنواع السيكوباتية الجماعية، حيث يضعون اهداف واضحة ومحددة ويخططون بشكل جمعي لتحقيقها ويستخدمون في تحقيقهم لأهدافهم كل الطرق المشروعة وغير المشروعة لتحقيق غاياتهم والاستيلاء على مقدرات الاخرين، فيتحركون بشكل مخطط ومنظم ومتدرج ويتبعون أسلوب السمع والطاعة لكبيرهم ومخطط أعمالهم وافعالهم، ولا يضمون بينهم أي شخص بسهولة وانما لابد من أن يخضع لاختبارات عديدة للتحقق من انتماءه الاعمى وولاءه لقانون الجماعة الذي يجيد توزيع الأدوار وتحقيق الأهداف التي يسعون من خلالها الى فرض قانونهم الخاص الذي يحقق أهدافهم واغراضهم الخاصة والشخصية.

ولعل من أهم أهداف التذاكي الجمعي السيكوباتي لشلة الفساد هو التصدي بقوة وحزم وبكل الطرق المشروعة وغير المشروعة لأي شخص ناجح يهدد أهداف الشلة الفاسدة ويمكن أن يفضح فشلهم وعجزهم وقصور قدراتهم العقلية وامكانياتهم المحدودة فيسعون لتدميره وافشاله والقضاء عليه حفاظاً على أهدافهم ومخططاتهم، بينما يسعون بكل قوة لفرض احد أعضاء الشلة الفاسدة المتذاكي الفاشل والضحية الذي يسخرون كل طاقاتهم لمساندته ودعمه فرضه كأمر واقع على الجميع، فالشلة الفاسدة في أي مدرسة او مؤسسة تحتال على القوانين وتلتف حول المبادئ وتلجأ للوساطة والمحسوبية ومصادر السلطة لحمايتها والمساعدة في فرض أهدافها بالقوة او بالسلطة او بالتكتل على الافراد والأشخاص العاديين، ويسعوا للسيطرة على الجميع واخضاعهم لإرادتهم واهدافهم، ويتفاخرون بعدم احترامهم للقوانين والقواعد وفرض قانونهم الخاص بهم " والغاية تبرر الوسيلة" مهما اضرت بالآخرين وبحقوقهم واهدافهم المشروعة **فالتقييمات النقدية لتقييم الفساد في دول العالم النامي يوصف الفساد بانه دستور الدولة الحقيقي وهو الواقع الذي يحكم كل شيء بعيداً عن القانون والمؤسسات ويوصف الفاسدين والمتذاكين بأنهم هم الملاك الحقيقين للدولة يمتلكون السلطة والمناصب والاختيارات والارزاق واختيار المتذاكي يتم وفق اجراءات وشروط ومواصفات شديدة الاتقان وكأنها راية تسلم يداً بيد وميراث عريق بمعايير وأبعاد ومواصفات شديدة الدقة، واذا لم تكن متذاكي وتعيش في هذه المجتمعات فانك ستشعر بالغربة والقهر والظلم والتحييد وربما قد تكون ضحية نفسك غير المتوافقة وستحارب اذا كنت من اهل الكفاءات لأنها ليست متطلب على الاطلاق ولكن لابد من ان تكون من اهل الثقة في انك متذاكي تتوفر فيه كل المواصفات الشخصية لكى تكون من اهل القمة.**

وفي النهاية هذا العرض التشريحي لفئة ولشريحة وسلوكيات من المجتمع لا يبدو وكأننا وصلنا لنهاية العرض للمفهوم ولكن وصلنا لبداية جديدة لفهم ودراسة هذا السلوك الإنساني في علاقاته وتفاعلاته البندولية الصاعدة والهابطة بجملة الاضطرابات والاستجابات السلوكية السلبية التي قد تدفع المجتمع الى مزيد من الانهيار والتردي.